ولا ابداها ، فيضرب الناس ضربًا ويضرب ضربا ، ويأخذ العساكر
شرقًا ويأخذ غربا ، فتضطرب تلك الاطواد وتختبط ، وتنفرط
عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط ، وتنحل قوائم مواثيقها عن
المسير وترتبط ، ويموج بعض الناس في بعض ، وينعكسون
سماءً في ارض ، وطولًا في عرض ، ويتولّه كل احد ويتدله ، ولا
يدري الى اين يتوجه ، فان كان في عسكره ربيئه ، ومن يراقب
ذهابه ومجيئه ، فيمجد ما رآى بحيلهم ، وشاهد تحويلهم وحلهم ،
طار الى مخدومه ، واظهر له ما في معلومه ، من توجه العساكر
الى الجهة التي اتفقوا عليها ، وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا
اليها ، فيأخذ واحذره اهل ذلك الجانب ، وتطمئن سائر
الجوانب من النوائب ، فلم يشعروا الا وقد دمّر على الجانب الذي قصده
وحطمه ، ونبذه من نار العذاب الموقدة في السعير والحطمه ،
وكم كان له من دهاء ، ومكر خفي وذكاء ، ومن جملة ذلك انه لما
كان بالشام ، وقد قابلته عساكر الاسلام ، اشاع ان سواد
اساورته تخلخل ، وتأخر قليلا الى وراء وتحلحل ، واذاع انه
اعوز خيله ورجله الزاد ، وانه صائب صوب بغداد ، ثم
استفرق القضيه ، عن ان انهزمت العساكر المصريه ، وكان قصده
بذلك تثبيت جاشهم ، واستقرار رؤسائهم واوباشهم ، وان
يكن كل منهم على ما ازم ، فيربض في مكانه ولا ينهزم ، فيحيط بالكل
كيده ، ويصير المجموع صيده ، وممّا يحكى من شدة عزمه ،
وثباته على ما يقصده وحزمه ، وحلول نقمته ممن يعارضه ،
ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه ، انه لما توجه بالجنود الى
بلاد الهنود ، بلغ الى قلعة شاهقه ، افراط الدراري باذان
مراميها عالقه ، ورجوم النجوم الخارقه تتعلم الاصابة من شاقه
سهامها الراشقه ، كأن بهرام في مهواه احد سواطيرها ، وكيوان

في مسراه

144

في مسراه خادم نواطيرها ، والشمس في استوائها غرة جبينها ،
وقطرات السحاب في الانسكاب تترشح من قعر معينها ، وشقة
الشفق الحمراء على اذان مراميها وانوف ابدانها سرادق ، وكرات
نجوم القبة الخضراء لعيون مكاحلها وافواه مدافعها طابات
وبنادق ، فيها من الهنود طائفه ، ثابتة الجنان غير خائفه ،
جهزت اهلها وما يخاف عليه الى الاماكن المحرزه ، وتثبتت هي في
تلك القلعة حافظة لها متحرزه ، مع انها شرذمة قليله ، وطائفة
ذليله ، لا خير عندهم ولا مير ، ولا فائدة سوى الضير
والصير ، ولا للقتال عليها سبيل ، ولا حواليها لاحد مبيت
ولا مقيل ، بل هي مطلة على المقاتله ، مستمسكة من المقاتله ،
فابى ان يجاوزها ، دون ان يناجزها بالحصار ويناجزها ،
واللبيب العاقل ، ما يترك خصمه وراءه معاقل ، فجعلت
المقاتلة تناوشها من بعيد ، ونصب كل من اهلها عليهم من
اسباب المنايا ما يريد كما يريد ، فكان كل يوم يقتل من عسكره
ما لا يحصى ، والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا ، وهو
يابى الرحيل عنها ، الا ان يصل الى غرضه منها ، ففي بعض ايام
المحاصرة مُطروا ، وبواسطة المطر انحصروا ، وصار يحثهم على
القتال ، وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال ، فلم ير نظر
افعالهم لما عكست او جاء لهم احوالهم ، فدعا منهم رؤس الامراء ،
وزعماء العسكر والكبراء ، ولحذا يمزق اديم عصمتهم بشفار
شتمه ، ويشقق ستر حرمتهم بمخالب لعنه وذمه ، ونفخ
الشيطان في خيشومه ، فالهب فيهم نيران غضبه وشومه ،
وقال يا لئام ، واكلة الحرام ، تتقلبون في نعماي ، وتتوانون
عن اعداي ، جعل الله نعمتي عليكم وبالا ، والبسكم بكفرانها
جبة ونكالا ، يا فاجري الذمم ، وكافري النعم ، واساقط الهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)